الأهرام

١٩٧٥/٢/٦

أم كلثوم جعلت الدين موضوعا للفن

صوت أم كلثوم الذى أدى بامتداد فريد ومعجز ، على المدى الطويل هو اعجاز آخر يشكل فى ذاته ظاهرة أخرى .. ومع هذا كله ليست أم كلثوم صوتا فحسب فقد أدت أم كلثوم للفن والادب مالا يؤديه مئات المدارس والمواعظ والخطب .

كم قصيدة لشوقى يغنيها الآخرون فلا نسمعها من كلام غيره . وان ميزناها فبمهلة لن ينفذ بها تقاطعها الى أفواه سامعيها أو أفواه النفوس . بل ان [شوقى] عاش وعاش وكثير من شعره لايدركه الا فئة ممتازة هى قلة كطبيعة الامتياز ... فما لن ترنمت أم كلثوم بنهج البردة حتى كبر الناس . فأداؤها الفريد ، ونطقها المثقف ، واخراجها الفنان ، والتاؤها المعبر البليغ .... بهذا كله . الذى غدا لها اسلوبا وطابع شخصية ، توضح خفى المعانى وتشرح مستصعر الاساليب وتؤاخى بين الادب والموسيقى والغناء .. وتقف للشدو فتمثل الوحدة الفنية للفنون الثلاثة اصدق تمثيل .

لقد استطاعت أم كلثوم وحدها أن تجعل الدين موضوعا من موضوعات الفن... والتاريخ لنهضتنا الحديثة سيقف طويلا عند أم كلثوم بمجموعتها [المولدية] و [نهج البردة] و [سلوا قلبى] و [هرقله] و [الفكاهة المقدسة] . وتأتى [رباعيات الخيام] أو الجزء الذى غنته أم كلثوم منها فتمزج بين الفنية والدين فى شفافية وصوفية .

ان الفنانين لم يمضى الا بعد أن امتزج الدين فيها بالموسيقى واصبح موضوعا من موضوعاتها ....

وقد اكتسب أم كلثوم حفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة هذا النطق المصقول بما اكسبها من تقويم اللسان وسلامة مخارج الحروف من جوفية وحلقية وشفوية. كما اكسبها علما بصفات الحروف من حيث الشدة والرخاوة والاطباق والانفتاح والقلقلة والتكرير الى آخر هذا الفن الدقيق .

واداء أم كلثوم [تجسيد] وهو بهذه الصفة يضيف الى النص والشعر . يقول الشيخ يونس القاضى [مجلة المسرح ١٩٣٦] : « الغناء هو الصورة التى يدار الممثل التصرف فيها أعطى ولو كان ثقيلا » .

وهى كلمة قالت مكتوبة عند أم كلثوم فلا تصحب عليها بل على العكس من هذا يلعب اداؤها الخاص دورا كبيرا فى نجاح الاغنية نجاحا أكبر مما تستحقه كلماتها أو لحنها فى بعض الحالات حتى ليصدق عليها القول :

كلمة هذا ثمة ديباجة The

واذا كان الغناء درجة عند آخرين ، فانه عندها يرتفع من آلية الاحتراف الى مستوى الفنون . انه عندها موهبة ومقدرة . ومن آيات الموهبة عند أم كلثوم أنها حين تسجل على شريط تجيئه ، ولكنها حين تغنى ما سجلته ، للشعب ، تتوق على نفسها لتروع . ان الكلمة من ناحية ، واللحن من ناحية أخرى يثير كل منهما عندها حالة نفسية تتسق مع جو الشعر واللحن . وهى بدورها تريد أن تنقل احساسها بهما الى نفوس المستمعين حية لا الى آلة تسجيل . وتنقل المشاعر بحيث يشترك مع الفنان فيها مستمعوه من أصحاب الأمور وادقها فى العمل الفنى . ولكنها مستمرة دائما الى هذه الغاية وتصر عليها . وهذا هو سرها .

وهى بطوتها الكلمة ، والنغمة ، تضفى عليهما من نفسها فوق ما تراده الشاعر والملحن . لقد كان زكريا يقول « ان صاحب اللحن أكثر عليه من المغنى والعكس مع أم كلثوم »

وأم كلثوم من مدرسة الارتجال الفورى فى الالحان ، ولهذا نسمع منها الاغنية من أفواهها مرات متوالية فتتفتح لنا فى كل مرة من جمال جديد .. وتدرك فى المرة الثانية من الوان آدائها مثلما فى المرة السابقة .. لهذا تجعل مسموعها من التكرار ، بل يطلبونه ويفرضونه احيانا .

بموهبة الصوت .. بقدرة الاداء .. بفن الغناء .. بخصائص الشخصية .. بطاقة الشعور .. بالفن .. بالذكاء الفطرى .. بالتدين .. بالتأدب الرفيع .. بذكاء الانابة بما مرة بعد مرة .. بهذا كله مجتمعا ومتفرقا يضع تاريخ الفن المصرى أم كلثوم فى مكان يعز فيه نظيرها ، الدكتور =

الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية